

المنتقى من صيد الخاطر لابن الجوزي

جمع

فهد بن عبدالعزيز بن عبدالله الشويخ

حقوق الطبع والنشر لكل مسلم

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين... أما بعد: فقد اشتهر الحافظ ابن الجوزي رحمه الله بالوعظ، وتاب على يديه الكثيرون، وله مصنفات كثيرة، من أشهرها: كتابه " صيد الخاطر " وهو كتاب مفيد، لا يخلو من ملاحظات، قال الشيخ عمر بن عبد الله المقبل: * قال العلامة عبد الرحمن السعدي : كلامه في الفصول التي في أول صيد الخاطر... يجب الحذر منها، والتحذير، ولولا أن هذه الكتب موجودة بين الناس لكان للإنسان مندوحة عن الكلام فيه، لأنه من أكابر العلم وأفاضلهم، وهو معروف بالدين والورع والنفع، ولكن لكل جواد كبوة، نرجو الله أن يعفو عنا وعنه، وفي صيد الخاطر أيضاً أشياء تُنتقد عليه، ولكنها دون كلامه في الصفات مثل كلامه عن أهل النار، وفي الخوض في بعض مسائل القدر.

فيوجد في كتابه أشياء مفيدة، وأشياء منتقدة، وقد انتقيت من كتابه كل مفيد، بعد حذف الموضوعات المتكررة، فهو رحمه الله يعيد في كتابه موضوعات سبق أن تكلم عنها، معللاً ذلك لكي لا يغفل عنها، يقول: كثيراً ما أعيد هذا المعنى في هذا الكتاب بعبارات شتى، قد تكرر معناه في هذا الكتاب... إلا أن إعادته على النفوس مهمة لئلا يُغفل عنه.

كما قمتُ بعد انتقاء الموضوعات بضم كل موضوع إلى نظيره، وجعلته في فصل مستقل، يندرج تحته مباحث فرعية، أسأل الله الكريم أن ينفع بعلمي هذا، ويبارك فيه.

- (٣)

فصل: الغفلة

أكثر الناس في غفلة:

قال الشاعر:

الناس في غفلة والموت يوقظهم وما يفيقون حتى ينفذ العمر
يشيعون أهاليهم بجمعهم وينظرون إلى ما فيه قد قبروا
ويرجون إلى أحلام غفلتهم كأنهم ما رأوا شيئاً ولا نظروا
وهذه حال أكثر حال الناس... لا يعتبر برفيقه، ولا يتعظ بصديقه، ولا يتزود لطريقه.
وأكثر الناس ما يرون الأشياء بعينها، فإنهم يرون الفاني كأنه باق، ولا يكادون
يتخيلون زوال ما هم فيه وإن علموا ذلك
فنسأل الله عز وجل أن ينبهنا من رقعات الغافلين.

إفاقة المحتضر عند موته:

من أظرف الأشياء إفاقة المحتضر عند موته، فإنه ينتبه انتباها لا يوصف، ويقلق قلقاً
لا يحد، ويتلهف على زمانه الماضي.
ويود لو ترك كي يتدارك ما فاتته ويصدق في توبته على مقدار يقينه بالموت، ويكاد
يقتل نفسه قبل موتها بالأسف.
فالعاقل من مثل تلك الساعة وعمل بمقتضى ذلك.

(4)-

الاستيقاظ من الغفلة والاستعداد للموت:

يجب على من لا يدري متى يبعثه الموت أن يكون مستعداً.
ولا يغتر بالشباب والصحة.

ومن الاغترار طول الأمل، وما من آفة أعظم منه.
فإنه لولا طول الأمل ما وقع إهمال أصلاً.

ولا تمس حتى تنظر فيما مضى من يومك، فإن رأيت زلة فامحها بتوبة، أو خرقاً فارقعه
باستغفار، وإذا أصبحت فتأمل ما مضى من ليلك، وإياك والتسويق فإنه أكبر جند
إبليس.

وتمثل ساعة الموت، وانظر إلى مرارة الحسرات على التفريط،... فما أبله من لا يعلم
متى يأتيه الموت، وهو لا يستعد للقائه.

وأشدُّ الناس بلهاً وتغفياً من عبر الستين وقارب السبعين، فإن ما بينهما هو معترك
المنايا، ومن نازل المعترك استعد، وهو مع ذلك غافل عن الاستعداد.

هل بقي لابن ستين منزل ؟

فإن طمع في السبعين فإنما يرتقى إليها بعناء شديد، إن قام دفع الأرض، وإن مشى
لهث، وإن قعد تنفس.

فإن طمع في الثمانين فهو يزحف إليها زحف الصغير.

فالعاقل من فهم مقادير الزمان،... فينبغي له عند تمام الأربعين أن يجعل جل همته
التزود للآخرة، يأخذ في الاستعداد للرحيل... وكلما علت سنه فينبغي أن يزيد في
اجتهاده،.. خصوصاً إذا قوي عليه الضعف وزاد، نسأل الله عز وجل يقظة تامة
تصرف عنا رقاد الغفلات وعملاً صالحاً نأمن معه من الندم يوم الانتقال والله الموفق

- (٥)

همة المؤمن متعلقة بالآخرة:

همة المؤمن متعلقة بالآخرة، فكل ما في الدنيا يحركه إلى ذكر الآخرة، وكل من شغله شيء فهمته شغله.

والمؤمن إذا رأى ظلمة ذكر ظلمة القبر.

وإن رأى مؤلماً ذكر العقاب.

وإن سمع صوتاً فظيماً ذكر نفخة الصور.

وإن رأى الناس نياماً ذكر الموتى في القبور.

وإن رأى لذة ذكر الجنة...

وأعظم ما عنده أنه يتخايل دوام البقاء في الجنة، وأن بقاءه لا ينقطع ولا يزول، ولا يعتريه منغص، فيكاد إذا تخايل نفسه متقلباً في تلك اللذات الدائمة التي لا تفسى يطيش فرحاً، ويسهل عليه ما في الطريق إليها من ألم ومرض وابتلاء وفقد محبوب، وهجوم الموت، ومعالجة غصصه....

نسأل الله عز وجل يقظة تامة تحركنا إلى طلب الفضائل، وتمنعنا من اختيار الرذائل.

العاقل من استيقظ من غفلته وتأهب لسفره:

من تفكر في عواقب الدنيا أخذ الحذر.

ومن أيقن بطول السفر تأهب للسفر.

فالواجب على العاقل أخذ العدة لرحيله، فإنه لا يعلم متى يفجؤه أمر ربه، فمن أعطى كل لحظة حقها من الواجب عليه، فإن بغته الموت رؤى مستعداً، وإن نال الأمل ازداد خيراً.

فصل: العقوبات

أعظم العقوبة:

أعظم المعاقبة أن لا يحس المعاقبُ بالعقوبة، وأشدَّ من ذلك أن يقع السرور بما هو عقوبة، كالفرح بالمال الحرام، والتمكّن من الذنوب، ومن هذه حاله لا يفوز بطاعة وربما رأى العاصي سلامة بدنه وماله فظن أن لا عقوبة وغفلته عما عوقب به عقوبة وقد قال الحكماء: المعصية بعد المعصية عقاب المعصية.

الحذر من عقوبة المعاصي والذنوب:

ينبغي لكل ذي لب وفطنة أن يحذر عواقب المعاصي، فإنه ليس بين الآدمي وبين الله تعالى قرابة ولا رحم، وإنما قائم بالقسط حاكم بالعدل. وإن كان حلمه يسع الذنوب، إلا أنه إذا شاء عفا، فعفا كل كثيف من الذنوب، وإذا شاء أخذ، وأخذ باليسير، فالحذر الحذر. ولقد رأيت أقواماً من المترفين كانوا يتقبلون في الظلم، والمعاصي الباطنة والظاهرة، فتعبوا من حيث لم يحتسبوا، فقلعت أصولهم، ونُقِضَ ما بنوا من قواعد أحكامها لندراهم.

ورأيت أقواماً من المنتسبين إلى العلم أهملوا نظر الحق عز وجل إليهم في الخلوات فمحا محاسن ذكرهم في الجلوات، فكانوا موجودين كالمعدومين، لا حلاوة لرؤيتهم، ولا قلب يحن إلى لقائهم... فالله الله في مراقبة الحق عز وجل.. فإن عليكم من الله عينا ناظرة، وإياكم والاعتزاز بحلمه وكرمه فكم استدرج، وكونوا على مراقبة الخطايا مجتهدين في محوها، وما شيء ينفع كالتضرع مع الحمية من الخطايا.

فالله الله، اسمعوا ممن قد جرب، كونوا على مراقبة، وانظروا في العواقب.

- (٧)

من عقوبات الذنوب المعنوية:

وربما كان العقاب معنوياً، كما قال بعض أحبار بني إسرائيل: يا رب كم أعصيك ولا تعاقبني ؟ فقيل له: كم أعاقبك ولا تدري، أليس قد حرمتك حلاوة مناجاتي ؟ قال وهب بن الود وقد سئل: أيجد لذة الطاعة من يعصي ؟ قال: ولا من همّ. فرب شخص أطلق بصره فحرم اعتبار بصيرته، أو لسانه فحرم صفاء قلبه، أو أثر شبهة في مطعمه... فحرم قيام الليل وحلاوة المناجاة إلى غير ذلك.

من عقوبات الذنوب الحسية:

من تأمل عواقب المعاصي وجدها قبيحة... فأف للذنوب ما أقبح آثارها، وما أسوأ أخبارها، فمتى رأيت تكديراً في حالٍ فاذكر نعمة ما شكرت أو زلة قد فعلت. كان الفيضل بن عياض يقول: إني لأعصى الله، فأعرف ذلك في خلق دابتي وجاري، قال بعض المعتبرين: أطلقت نظري فيما لا يحل لي، ثم كنت أنتظر العقوبة، فألجئت إلى سفر طويل لا نية لي فيه، فلقيت المشاق، ثم أعقب ذلك موت أعز الخلق عندي، وذهاب أشياء كان لها وقع عظيم عندي، ثم تلاقيت أمري بالتوبة فصلح حالي، ثم عاد الهوى فحملني على إطلاق بصري مرة أخرى، فطمس قلبي. وأنا أقول عن نفسي: ما نزلت بي آفة أو غم أو ضيق صدر إلا بزلل أعرفه حتى يمكنني أن أقول: هذا بالشيء الفلاني، وربما تأولت فيه بعد، فأرى العقوبة، فينبغي للإنسان أن يترقب جزاء الذنوب فقلّ أن يسلم منه.

فها أنا أنادي من على الساحل: إخواني احذروا لجة هذا البحر، ولا تغتروا بسكونه، وعليكم بالساحل... فالعقوبة مرة، فأيقوا من سكرهم وتوبوا من زللهم واستقيموا

على الجادة: ﴿ أن تقول نفس يا حسرتا على ما فرطت في جنب الله ﴾

العقوبة قد تتأخر فلا تغتر:

الواجب على العاقل أن يحذر مغبة المعاصي، فإن نارها تحت الرماد، وربما تأخرت العقوبة ثم فجأت.

فمن الاغترار أن تسيء فترى إحساناً، فتظن أنك قد سوحت، وتنسى: ﴿من يعمل سوءاً يجزى به﴾

واعلم أنه من أعظم الخن الاغترار بالسلامة بعد الذنب، فإن العقوبة قد تتأخر.

قال ابن سيرين: عيرت رجلاً، فقلت: يا مفلس، فأفلس بعد أربعين سنة.

وقد تتأخر العقوبة وتأتي في آخر العمر، فيهان الشيخ في كبره حتى ترحمه القلوب، ولا يدري أن ذلك لإهماله حق الله تعالى في شبابه، فمتى رأيت مُعاقباً فاعلم أنه لذنوب.

فبادر بإطفاء ما أوقدت من نيران الذنوب، ولا ماء يطفئ تلك النار إلا ما كان من عين العين.

العقوبة ربما امتدت إلى زمن الموت:

أيها المذنب: إذا أحسست نفحات الجزاء فلا تكثرن الضجيج، ولا تقولن قد تبت وندمت، فهلا زال عني..الجزاء..فلعل توبتك ما تحققت.

وإن للمجازاة زماناً يمتد امتداد المرض الطويل، فلا تنجع فيه الحيل حتى ينقضي أوانه....فاصبر أيها الخاطيء...فرب عقوبة امتدت إلى زمن الموت.

فاللزم لك أن تلازم محراب الإنابة، وتجلس جلسة المستجدي..

وإن متّ في سجنك فرمما ناب حزن الدنيا عن حزن الآخرة، وفي ذلك ربح عظيم.

فصل: الذنوب والمعاصي

الذنوب ولو أخفيت قد توقع صاحبها في آفة تفضحه بين الخلق

نظرت في الأدلة... فرأيت من أعجبها أن الإنسان قد يُخفي ما لا يرضاه الله عز وجل فيظهره الله سبحانه عليه ولو بعد حين ويُنطقُ الألسنة به وإن لم يشاهده الناس وربما أوقع صاحبه في آفة يفضحه بها بين الخلق، فيكون جواباً لكل ما أخفى من الذنوب، وذلك ليعلم الناس أن هناك من يجازي على الزلل، ولا ينفع من قدره وقدرته حجاب ولا استتار، ولا يضاع لديه عمل.

ذنوب الخلوات تجعل القلوب تبغض فاعلها وتمقتة:

من هاب الخلق، ولم يحترم خلوته بالحق، فإنه على قدر مبارزته بالذنوب وعلى مقادير تلك الذنوب، يفوح منه ريح الكراهية فتمقتة القلوب فإن قلَّ ما جنى قلَّ ذكر الألسن له بالخير، وبقي مجرد تعظيمه. وإن كثر كان قصارى الأمر سكوت الناس عنه لا يمدحونه ولا يذمونه. ورب خال بذنب كان سبب وقوعه في هوة شقوة في عيش الدنيا والآخرة، وكأنه قيل له: إبق بما آثرت فيبقى أبداً في التخبط. فانظروا إخواني إلى المعاصي أثرت وعثرت. قال أبو الدرداء رضي الله عنه: إن العبد ليخلو بمعصية الله تعالى فيلقى الله بغضه في قلوب المؤمنين من حيث لا يشعر. فتلمحوا ما سطرته، واعرفوا ما ذكرته، ولا تهملوا خلواتكم وسرائركم.

للذنوب تأثيرات قبيحة:

أجهل الجاهل من أثر عاجلاً على آجل لا يأمن سوء مغبته.
فكم قد سمعنا عن..من أطلق نفسه في شهواتها، ولم ينظر في حلال وحرام، فنزل به من الندم وقت الموت أضعاف ما التذ، ولقي من مرير الحسرات ما لا يقاومه ولا ذرة من كل لذة، ولو كان هذا فحسب لكفى حزناً كيف والجزاء الدائم بين يديه.
فلا خير في لذة من بعدها النار، وهل عُذٌّ في العقلاء قط من قيل له: اجلس في المملكة سنة ثم نقتلك، هيهات بل الأمر بالعكس، وهو أن العاقل من صابر مرارة الجهد سنة بل سنتين ليستريح في عاقبته، فاعلموا إخواني ومن يقبل نصيحتي أن للذنوب تأثيرات قبيحة، ماراتها تزيد على حلاوتها أضعافاً مضاعفة.

الخوف والرجل من الذنوب بعد التوبة منها:

ينبغي للعاقل أن يكون على خوف من ذنوبه وإن تاب منها، وبكى عليها، وإني رأيت أكثر الناس قد سكنوا إلى قبول التوبة، وكأنهم قد قطعوا على ذلك، وهذا أمر غائب، ثم لو غفرت بقي الرجل منها، وهذا أمر قل أن ينظر فيه تائب لأنه يرى أن العفو قد غفر الذنب بالتوبة الصادقة. وما ذكرته يوجب دوام الحذر والرجل.

المعاصي في ضمنها الأكرار:

تفكرت في سبب دخول جهنم فإذا هو المعاصي، فنظرت في المعاصي، فإذا هي حاصلة من طلب اللذات، فنظرت في اللذات فرأيتها خدعاً ليست بشيء، وفي ضمنها من الأكرار ما يصيرها نغصاً، فتخرج عن كونها لذات.

فكيف يتبع العاقل نفسه ويرضى بجهنم لأجل هذه الأكرار؟ وأما الجاهل يرى لذته في بلوغ ذلك الغرض، وينسى ما جني مما يكدر عيش الدنيا والآخرة

فصل: العلم

فضل العلم:

سبحان من خص فريقاً بخصائص شرفوا بها على جنسهم. ولا خصيصة أشرف من العلم... فأقرب الخلق من الله العلماء.

وليس العلم بمجرد صورته هو النافع، بل معناه، وإنما ينال معناه من تعلمه للعمل به، فكلما دله على فضل اجتهد في نيّله، وكلما نّماه عن نقص بالغ في تجنبه.

الحذر من تزهيد الشيطان في طلب العلم:

ليس في الوجود شيء أشرف من العلم كيف لا وهو الدليل فإذا عدم وقع الضلال وإن من خفي مكائد الشيطان أن يُزين في نفس الإنسان التبعّد ليشغله عن أفضل التبعّد وهو العلم، وهذا من خفي حيل إبليس... وإنما فعل ذلك وزينه... لسبيين: أحدهما: أنه أرادهم يمشون في الظلمة.

والثاني: أن تصفح العلم كل يوم يزيد في علم العالم، ويكشف له ما كان خفي عنه، ويقوي إيمانه ومعرفته، ويريه عيب كثير من مسالكه خصوصاً إذا تصفح منهاج الرسول صلى الله عليه وسلم والصحابة.

فأراد إبليس سدّ تلك الطرق بأخفى حيلة، فأظهر أن المقصود العمل، لا العلم لنفسه، وخفي على المخدوع أن العلم عمل وأي عمل.

فاحذر من هذه الخديعة الخفية، فإن العلم هو الأصل الأعظم، والنور الأكبر. وكم من معرض عن العلم يخوض في عذاب من الهوى في تبعده، ويضيع كثيراً من الفرض بالنفل، ويشغله بما يزعمه الأفضل عن الواجب... ولو كانت عنده شعلة من نور العلم لاهتدى فتأمل ما ذكرت لك ترشد إن شاء الله تعالى.

التزید من العلم:

أفضل الأشياء التزید في العلم، فإنه من اقتصر على ما يعلمه فظنه كافياً استبد برأيه، وصار تعظيمه لنفسه مانعاً له من الاستفادة، والمذاكرة تبين له خطأه، وربما كان معظماً في النفوس فلم يُتجاسر على الرد عليه، ولو أنه أظهر الاستفادة لأهديت إليه مساوئه فعاد عنها.

الحرص على العلماء العاملين بعلمهم:

لقيت مشايخ أحوالهم مختلفة، يتفاوتون في مقاديرهم في العلم، وكان أنفعهم لي في صحبته: العامل منهم بعلمه، وإن كان غيره أعلم منه.

لقيت عبدالوهاب الأنماطي فكان على قانون السلف، لم يسمع في مجلسه غيبة، ولا كان يطلب أجراً على سماع الحديث، وكنتُ إذا قرأتُ عليه أحاديث الرقائق بكى واتصل بكأوه، فكان - وأنا صغير السن حينئذ - يعمل بكأوه في قلبي.

ولقيت الشيخ أبا منصور الجواليقي فكان كثير الصمت، شديد التحري فيما يقول، متقناً محققاً، وربما سئل المسألة الظاهرة التي يبادر بجوابها بعض غلمانه فيتوقف فيها حتى يتيقن، وكان كثير الصوم والصمت، فانتفعت برؤية هذين الرجلين أكثر من انتفاعي بغيرهما.

ففهمت من هذه الحالة أن الدليل بالفعل أرشد من الدليل بالقول.

ورأيت مشايخ كانت لهم خلوات في انبساط ومزاح، فراحوا عن القلوب، وبدد تفريطهم ما جمعوا من العلم، فقل الانتفاع بهم في حياتهم، ونُسُوا بعد مماتهم، فلا يكاد أحد أن يلتفت إلى مصنفاتهم.

فالله الله في العلم بالعمل فإنه الأصل الأكبر.

حلاوة طلب العلم ولذة تحصيله وثماره النافعة:

لقد تأملت نفسي بالإضافة إلى عشيرتي الذين أنفقوا أعمارهم في اكتساب الدنيا، وأنفقت زمن الصبوة والشباب في طلب العلم، فرأيتني لم يفتني مما نالوه إلا لو حصل لي ندمت عليه.

ثم تأملت حالي فإذا عيشي في الدنيا أجود من عيشهم، وجاهي بين الناس أعلى من جاههم، وما نلت من معرفة العلم لا يقاوم.

لقد كنت في حلاوة طلبي العلم ألقى من الشدائد ما هو عندي أحلى من العسل لأجل ما طلب وأرجو.

كنت في زمان الصبا آخذ معي أرغفة يابسة فأخرج في طلب الحديث، وأقعد على نهر عيسى فلا أقدر على أكلها إلا عند الماء، فكلما أكلت لقمة شربت عليها، وعين همتي لا ترى إلا لذة تحصيل العلم، فأثمر ذلك عندي أنني عرفت بكثرة سماعي لحديث الرسول صلى الله عليه وسلم وأحواله وآدابه، وأحوال أصحابه وتابعيهم.

وأثمر ذلك عندي من المعاملة ما لا يدرى بالعلم، حتى أنني أذكر في زمان الصبوة ووقت الغلظة والعزبة قدرتي على أشياء كانت النفوس تتوق إليها توقان العطشان إلى الماء الزلال، ولم يمنعني عنها إلا ما أثمر عندي العلم من خوف الله عز وجل. لقد تاب على يدي في مجالس الذكر أكثر من مأتي ألف، وأسلم على يدي أكثر من مأتي نفس.

وكم سالت عين متحجر بوعظي لم تكن تسيل. ولقد جلست يوماً فرأيت حوالي أكثر من عشرة آلاف ما فيهم إلا من قد رق قلبه، أو دمعت عينه... ويحق لمن تلمح هذا الإنعام أن يرجو التمام.

فصل: الدعاء

تأخر استجابة الدعاء بلاء يحتاج إلى صبر:

رأيت من البلاء العجائب أن المؤمن يدعو فلا يجاب، فيكرر الدعاء وتطول المدة، ولا يرى أثراً للإجابة، فينبغي له أن يعلم أن هذا من البلاء الذي يحتاج إلى الصبر. وما يعرض للنفس من الوسواس في تأخير الجواب مرض يحتاج إلى طب. ولقد عَرَضَ لي من هذا الجنس، فإنه نزلت بي نازلة فدعوتُ وبالغتُ فلم أر الإجابة، فأخذ إبليس يجول في حلبات كيده. فقلت له: إخساً، يا لعين،... ثم عدت إلى نفسي فقلت: إياك... ووسوسته، فإنه لو لم يكن في تأخير الإجابة إلا أن يبلوك.. في محاربة العدو لكفى في الحكمة.

أسباب تأخر إجابة الدعاء:

لقد ثبت بالبرهان أن الله عز وجل مالك، والمالك يتصرف بالمنع والعطاء، فلا وجه للاعتراض عليه.

والثاني: أنه ثبتت حكمته بالأدلة القاطعة، فرمى رأيت الشيء مصلحة، والحق أن الحكمة لا تقتضيه، وقد يخفى وجه الحكمة فيما يفعله الطبيب من أشياء تؤذي في الظاهر يقصد بها المصلحة فلعل هذا من ذاك.

والثالث: أنه قد يكون في التأخير مصلحة، والاستعجال مضر، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: لا يزال العبد في خير ما استعجل، يقول: دعوت فلم يستجب لي.

الرابع: قد يكون امتناع الإجابة لآفة فيك، فرمى يكون في مأكولك شبهة، أو قلبك وقت الدعاء غفلة أو ترداد عقوبتك في منع حاجتك لذنب ما صدقت في التوبة منه

والخامس: أنه ينبغي أن يقع البحث عن مقصودك بهذا المطلوب، فرمما كان في حصوله زيادة إثم، أو تأخير مرتبة خير، فكان المنع أصلح.

والسادس: أنه ربما كان فقد ما تفقدينه سبباً للوقوف على الباب واللجأ، وحصوله سبباً للاشتغال به عن المستول، وهذا الظاهر بدليل أنه لولا هذه النازلة ما رأيناك على باب اللجأ، فإياك أن تستطيل مدة الإجابة، وكن ناظراً أنه المالك، وإلى أنه الحكيم في التدبير والعالم بالمصالح، وإلى أنه يريد اختبارك ليلو أسرارك، وإلى أنه يريد أن يرى تضرعك، وإلى أنه يريد أن يأجرك بصبرك إلى غير ذلك، وإلى أنه يبتليك بالتأخير لتحارب وسوسة إبليس.

وكل واحدة من هذه الأشياء تقوى الظن في فضله وتوجب الشكر له، إذ أهلك بالبلاء الالتفات إلى سؤاله، وفقر المضطر إلى اللجأ إليه غنى كله.

الدعاء والذنوب:

لقد رأيت من نفسي عجباً تسأل الله عز وجل حاجاتها وتنسى جنايتها
فقلت: يا نفسُ السوء أو مثلك ينطق ؟
فقلت: فمن أطلب مراداتي ؟ قلت: ما أمنعك من طلب المراد، إنما أقول حقيقي
التوبة، وانطقي... ونظفي طرق الإجابة من أوساخ المعاصي.
فالله الله من جراءة على طلب الأغراض مع نسيان ما تقدم من الذنوب التي توجب
تنكيس الرأس، ولئن تشاغللت بإصلاح ما مضى والندم عليه جاءتك مراداتك.

الحرص على الدعاء بصلاح الدين والدنيا:

العجب من سؤالاتك فإنك لا تكاد تسأل مُهماً من الدنيا بل فضول العيش، ولا
تسأل صلاح القلب والدين مثل ما تسأل صلاح الدنيا.

فصل: التقوى

من اتقى الله في الخلوة ظهر أثر ذلك في الجلوة:

إن للخلوة تأثيرات تبين في الجلوة، كم من مؤمن بالله عز وجل يحترمه عند الخلوات فيترك ما يشتهي حذراً من عقابه، أو رجاء لثوابه، أو إجلالا له، فيكون بذلك الفعل كأنه طرح عوداً هندياً على مجمر فيفوح طيبه، فيستشقه الخلاق ولا يدرون أين هو، وعلى قدر المجاهدة في ترك ما يهوى تقوى محبته... فتري عيون الخلق تعظم هذا الشخص وألسنتهم تمدحه ولا يعرفون لم... وقد تمتد هذه الأرباح بعد الموت على قدرها، فمنهم من يُذكرُ بالخير مدة مديدة ثم ينسى، ومنهم من يذكر مائة سنة ثم يخفى ذكره.. ومنهم أعلام يبقى ذكرهم أبداً.

والإنسان قد يخفي.. الطاعة فتظهر عليه، ويتحدث الناس بها، وبأكثر منها، حتى إنهم لا يعرفون له ذنباً، ولا يذكرونه إلا بالחסن ليعلم أن هناك رباً لا يضيعُ عمل عامل وإن قلوب الناس لتعرف حال الشخص وتجه أو تأباه، وتذمه أو تمدحه، وفق ما يتحقق بينه وبين الله تعالى فإنه يكفيه كل هم، ويدفع عنه كل شر.

عاجل حسن الجزاء للمتقي:

لو أن شخصاً ترك معصية الله لأجل الله تعالى لرأى ثمرة ذلك... فيجد من يتقى الله تعالى... حسن الجزاء على التقوى عاجلاً، كما في حديث إمامة عن النبي صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى: (النظر إلى المرأة سهم مسموم من سهام إبليس من تركه ابتغاء مرضاتي آتيته إيماناً يجد حلاوته في قلبه)

التقوى ودوام السلامة والعافية:

من أراد دوام العافية والسلامة فليتنق الله عز وجل.
فالملازم لطريق التقوى لا آفة تطرقه، ولا بلية تنزل به، هذا هو الأغلب، فإن وجد
من تطرقه البلاء مع التقوى، فذاك في الأغلب لتقدم ذنب يجازى عليه.

من فضائل التقوى:

اعلم أن الزمان لا يثبت على حال، كما قال عز وجل: ﴿وتلك الأيام نداولها بين
الناس﴾ فتارة فقر، وتارة غنى، وتارة عز، وتارة ذل، وتارة يفرح الموالي، وتارة يشمت
الأعداء، فالسيد من لازم أصلاً واحداً كل حال، وهو تقوى الله عز وجل، فإنه إن
استغنى زانته، وإن افتقر فتحت له أبواب الصبر، وإن عوفي تمت النعمة له، وإن
ابتلي جملته، ولا يضره إن نزل به الزمان أو صعد، أو أعراه، أو أشبعه، أو أجاعه،
لأن جميع تلك الأشياء تزول وتتغير، والتقوى أصل السلامة حارس لا ينام، يأخذ
باليد عند العثرة... فلأزم لتقوى في كل حال فإنك لا ترى في الضيق إلا السعة، وفي
المرض إلا العافية، هذا نقدها العاجل، والآجل معلوم.
بالله عليك تذوق حلاوة الكف عن المنهي، فإنها شجرة تثمر عز الدنيا وشرف
الآخرة.

التقوى طريق للخلاص من الغموم والهموم:

ضاق بي أمر أوجب غماً لازماً دائماً، وأخذت أبالغ في الفكر في الخلاص من هذه
الهموم بكل حيلة وبكل وجه، فما رأيت طريقاً للخلاص، فعرضت لي هذه الآية:
﴿ومن يتق الله يجعل له مخرجاً﴾ فعلمت أن التقوى سبب للمخرج من كل غم، فما
كان إلا أن هممت بتحقيق التقوى فوجدت المخرج.

فصل: من صور الجزاء في الدنيا

من عجائب الجزاء في الدنيا:

من عجائب الجزاء في الدنيا أنه لما امتدت أيدي الظلم من إخوة يوسف وشروه بثمن بخس امتدت أكفهم بين يديه بالطلب، يقولون: ﴿وتصدق علينا﴾ ولما صبر هو... لما بغت عليه بدعواها: ﴿ما جزاء من أراد بأهلك سوءاً﴾ أنطقها الحق بقوله: ﴿أنا راودتُهُ﴾

حسن الجزاء لمن خاف مقام ربه:

قدرت في بعض الأيام على شهوة للنفس هي عندها أحلى من الماء الزلال في فم الصادي.... وقال التأويل: ما ههنا مانع ولا معوق إلا نوع ورع، وكان ظاهر الأمر امتناع الجواز، فترددت بين الأمرين، فمنعت النفس من ذلك، وها أنا ذا أنتظر من الله عز وجل حسن الجزاء على هذا الفعل... أرجو أن أرى حسن الجزاء على الصبر فأسطره فيه إن شاء الله تعالى، فإنه قد يعجل جزاء الصبر وقد يؤخره، فإن عجل سطرته، وإن أخر فما أشك في حسن الجزاء لمن خاف مقام ربه، فإنه من ترك شيئاً لله عوضه الله خيراً منه، وكان هذا في سنة إحدى وخمسمائة، فلما دخلت سنة خمس وستين، عوضت خيراً من ذلك بما لا يقارب مما لا يمنع منه ورع، فقلت: هذا جزاء الترك لأجل الله سبحانه في الدنيا، ولأجر الآخرة خير والحمد لله.

جزاء من حلف اليمين الغموس وهو كاذب:

حضر عندي رجل... فاشتريت منه دكاناً، وعقدت معه العقد، فلما افترقنا غدر بعد أيام، فطلبت منه الحضور عند الحاكم فأبى، فأحضرته فحلف باليمين الغموس أنه ما بعته، فقلت: ما تدور عليه السنة... ودارت السنة فمات الشيخ على قُلّ.

فصل: البلاء

مما يهون البلاء:

من نزلت به بلية فأراد تحقيقها فليتصورها أكثر مما هي تكن.
وليتوهم نزول أعظم منها ير الربح في الاقتصار عليها.
وليتخيل ثوابها....العوض في الدنيا..وتلمح الأجر في الآخرة.
وليتلمح سرعة زوالها فإنه لولا كرب الشدة ما رجيت ساعات الراحة.

الصبر على البلاء

للبلایا نهايات معلومة الوقت عند الله عز وجل.
فلا بد للمبتلى من الصبر إلى أن ينقضي أوان البلاء.
فإن تقلقلت قبل الوقت لم ينفع التقلقل... فلا بد من الصبر.
فاستعجال زوال البلاء مع تقدير مدته لا ينفع.
والجزع لا يفيد، بل يفضح صاحبه.

الإيمان القوي يظهر أثره عند الابتلاء:

المؤمن... كلما اشتد البلاء عليه زاد إيمانه وقوي تسليمه، وقد يدعو فلا يرى للإجابة أثراً، وسيره لا يتغير، لأنه يعلم أنه مملوك، وله مالك يتصرف بمقتضى إرادته
فإن اختلج في قلبه اعتراض خرج من مقام العبودية إلى مقام المناظرة، كما جرى
لإبليس.

والإيمان القوي يبين أثره عند قوة الابتلاء... فهناك يبين معنى قوله: ﴿ورضوا عنه﴾

قال الحسن البصري: استوى الناس في العافية، فإذا نزل البلاء تباينوا.

فصل: التعامل مع الناس

الحذر من الخلطة التي تؤدي إلى غفلة النفس وظلمة القلب:

كنتُ في بداية الصبوة، قد ألهمت طريق الزهاد، بإدامة الصوم والصلاة، وحببت إلى الخلوة، فكنتُ أجدُ قلباً طيباً، وكانت عين بصيرتي قوية الحدة، تتأسف على لحظة تمضي في غير طاعة، وتبادر الوقت في اغتنام الطاعات، ولي نوع أنس وحلاوة ومناجاة، فانتهى الأمر بي أن صار بعض ولادة الأمور يستحسن كلامي، فأمالني إليه، فمال الطبع، ففقدت تلك الحلاوة.

ثم استمالني آخر فكنت اتقي مخالطته ومطاعمه، لخوف الشبهات.... ثم جاء التأويل فانبسط فيما يباح، فانعدم ما كنت أجد من استنارة وسكينة، وصارت المخالطة توجب ظلمة في القلب إلى أن عدم النور كله.

وكثر ضجيجي من مرضي، وعجزت عن طب نفسي... فاجتذبني لطف مولاي إلى الخلوة على كراهة مني، وردَّ قلبي عليَّ على بعد نفور عني... فأفقت من مرض غفلتي وقلت في مناجاة خلوتي:

سيدي كيف أقدر على شكرك؟ وبأي لسان أنطق بمدحك؟ إذ لم تؤاخذني على غفلتي، ونبهتني من رقدتي، وأصلحت حالي على كره من طبعي.

فما أرحمني فيما سلب مني إذ كانت ثمرته اللجأ إليك.

وما أوفر جمعي إذ ثمرته إقبالي على الخلوة بك.

وما أغناني إذ أفقرتني إليك، وما آنسني إذ أوحشتني من خلقت.

آه على زمان ضاع في غير خدمتك أسفاً لوقت مضى في غير طاعتك.

الآن قد هبت نسائم العافية... فيا عظيم الإنعام تتم لي العافية.

لا تظاهر بالعداوة أحداً:

مما أفادتني تجارب الزمان أنه لا ينبغي لأحد أن يظهر بالعداوة أحداً ما استطاع، فإنه ربما يحتاج إليه مهما كانت منزلته... فكم من محتقر احتيج إليه، فإذا لم تقع الحاجة إلى ذلك الشخص في جلب نفع وقعت الحاجة في دفع ضرر، وقد احتجت في عمري إلى ملاطفة أقوام ما خطر لي قط وقوع الحاجة إلى التلطف بهم واعلم أن المظاهرة بالعداوة قد تجلب أذى من حيث لا يعلم، لأن المظاهر بالعداوة كشاهر السيف ينتظر مضرباً... وهذا فصل مفيد تبين فائدته للإنسان مع تقلب الزمان.

التعامل بحلم مع الغضبان:

متى رأيت صاحبك قد غضب وأخذ يتكلم بما لا يصلح، فلا ينبغي أن تعقد على ما يقوله خنصراً، ولا أن تؤاخذه به. فإن حاله حال السكران، لا يدري ما يجري. بل اصبر لفورته، ولا تعول عليها، فإن الشيطان قد غلبه، والطبع قد هاج، والعقل قد استتر. ومتى أخذت في نفسك عليه، أو أجبتة بمقتضى فعله كنت كعاقل واجه مجنوناً، أو كمفقق عاتب مغمى عليه، فالذنب لك. بل انظر بعين الرحمة، وتلمح تصريف القدر له، وتفرج في لعب الطبع به، واعلم أنه إذا انتبه ندم على ما جرى، وعرف لك فضل الصبر. وهذه الحالة ينبغي أن يتلمحها الولد عند غضب الوالد، والزوجة عند غضب الزوج، فتتركه يتشفى بما يقول، ولا تعول على ذلك، فسيعود نادماً معتذراً.

- (٢٢)

فصل: متفرقات

استغلال الوقت بما ينفع حاضراً وآجلاً.

رأيت عموم الخلائق يدفعون الزمان دفعاً عجيباً.

إن طال الليل فبحديث لا ينفع... وإن طال النهار فبالنوم.

فعلمت أن الله تعالى لم يطلع على شرف العمر ومعرفة قد أوقات العافية إلا من وفقه

وألممه اغتنام ذلك ﴿ وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم ﴾

قال الفيض: أعرف من يعدُّ كلامه من الجمعة إلى الجمعة.

ودخلوا على رجل من السلف، فقالوا: لعلنا شغلناك، فقال: أصدقكم كنتُ أقرأ،

فتركْتُ القراءة لأجلكم.

ومتى لان المزور طمع فيه الزائر، فأطال الجلوس فلم يسلم من أذى.

وقد كان جماعة قعوداً عند معروف، فأطالوا، فقال: إن ملك الشمس لا يفتر في

سوقها، أفما تريدون القيام.

ووصى بعض السلف أصحابه، فقال: إذا خرجتم من عندي فتفرقوا، لعل أحدكم

يقرأ القرآن في طريقه، ومتى اجتمعتم تحدثتم.

فكم يُضيع الآدمي من ساعات يفوته فيها الثواب الجزيل، قال صلى الله عليه وسلم:

(من قال سبحان الله العظيم وبحمده، غرست له بها نخلة في الجنة)

فينبغي للإنسان أن يعرف شرف زمانه، وقدر وقته، فلا يضيع منه لحظة في غير قرينة

ويقدم الأفضل فالأفضل من القول والعمل، ولتكن نيته في الخير قائمة.

فإذا علم الإنسان.. بأن الموت يقطعه عن العمل، عمل في حياته ما يدوم له أجره بعد

موته... فذلك الذي لم يمت* قد مات قوم وهم في الناس أحياء.

- (٢٣)

النظر في العواقب:

تدبرت أحوال الأخيار والأشرار فرأيت سبب صلاح الأخيار النظر، وسبب فساد الأشرار إهمال النظر.

وذلك أن العاقل... إذا رأى مشتهى تأمل عاقبته فعلم أن اللذة تفني، والعار والإثم يبقيان، فيسهل عليه الترك.

وإذا انتهى الانتقام ممن يؤذيه ذكر ثواب الصبر، وندم الغضب على أفعاله في حالة الغضب.

ثم لا يزال يتأمل سرعة ممر العمر فيغتتمه بتحصيل أفضل الفضائل فينال مناه.

وأما الغافل فإنه لا يرى إلا الشيء الحاضر.

نسأل الله عز وجل يقظة ترينا العواقب، وتكشف لنا الفضائل والمعائب.

بقدر إجلالكم لله عز وجل يحللكم:

إخواني: اسمعوا نصيحة من قد جرب وخبر.

إنه بقدر إجلالكم لله عز وجل يحللكم، وبمقدار تعظيم قدره واحترامه يعظم أقداركم وحرمتكم.

ولقد رأيت والله من أنفق عمره في العلم إلى أن كبرت سنه، ثم تعدى الحدود فهان عند الخلق، وكانوا لا يلتفتون إليه مع غزارة علمه وقوة مجاهدته.

ولقد رأيت من كان يراقب الله عز وجل في صботه — مع قصوره بالإضافة إلى ذلك العالم — فعظم الله قدره في القلوب حتى علقت النفوس، ووصفته بما يزيد على ما فيه من الخير.

النظر في سير السلف الصالح تجلب رقة القلب:

رأيت الاشتغال بالفقه وسماع الحديث لا يكاد يكفي في صلاح القلب، إلا أن يمزج بالرفائق والنظر في سير السلف الصالحين.

وقد كان جماعة من السلف يقصدون العبد الصالح للنظر إلى سميته وهديه، لا لاقتباس علمه.

وذلك أن ثمرة علمه: هديه وسمته، فافهم هذا وامزج طلب الفقه والحديث بمطالعة سير السلف والزهاد في الدنيا ليكون ذلك سبباً لركة قلبك.

التصنيف المفيد:

رأيت من الرأي القويم أن نفع التصنيف أكثر من نفع التعليم بالمشافهة، لأني أشافه في عمري عدداً من المتعلمين، وأشافه بتصنيفي خلقاً لا تحصى ما خلقوا بعد، ودليل هذا انتفاع الناس بتصانيف المتقدمين أكثر من انتفاعهم بما يستفيدونه من مشايخهم، فتصنيف كتاب... بذر يكثر ريعه، ويمتد زمان نفعه.

فينبغي للعالم أن يتوفر على التصنيف، إن وفق للتصنيف المفيد، فإنه ليس كل من صنف صنف، وليس المقصود جمع شيء كيف كان، وإنما هي أسرار يطلع الله عز وجل عليها من شاء من عباده ويوفقه لكشفها، فيجمع ما فرق، أو يرتب ما شئت، أو يشرح ما أهمل، هذا هو التصنيف المفيد.

إذا رأى العبد في الآخرة جزاء دعائه تمنى أن الله لم يجب له دعوة في دنياه:

في الحديث: ما من مسلم دعا الله تعالى إلا أجابه، فإذا أن يعجلها، وإما أن يؤخرها، وأما أن يدخرها له في الآخرة، فإذا رأى يوم القيامة أن ما أجيب فيه قد ذهب، وما لم يجب فيه قد بقي ثوابه، قال: ليتك لم تجب لي دعوة قط.

العزلة التي يُنتفعُ بها:

ما أعرف نفعاً كالعزلة عن الخلق، خصوصاً للعالم والزاهد.
فيا للعزلة ما أذهبا، سلمت من كدر غيبة، وآفات تصنع.... وتضيع الوقت.
خلا فيها القلب بالفكر، بعد ما كان مشغولاً عنه بالمخالطة، فدبر أمر دنياه وآخرته
فلو لم في العزلة إلا التفكير في زاد الرحيل، والسلامة من شر المخالطة كفى.
ثم لا عزلة في الحقيقة إلا للعالم والزاهد، فإنهما يعلمان مقصود العزلة ويحسنان الاستفادة
منها.

أما العالم فعلمه مؤنسه، وكتبه محدثه، والنظر في سير السلف مقومه، والتفكر في
حوادث الزمان السابق فرجته.
وكذلك الزاهد تعبه أنيسه.

فهذان رجلا قد سلما من شر الخلق وسلم الخلق من شرورهما.
بل هما قدوة للمتعبدين، وعلم للسالكين، ينتفع بكلامهما السامع، وتجري موعظتهما
المدامع، وتنتشر هيبتهما في الجامع.

أجأ إلى الله:

نازعتني نفسي إلى أمر مكروه في الشرع، وجعلت تنصب لي التأويلات وتدفع
الكراهة، وكانت تأويلاتها فاسدة، والحجة ظاهرة على الكراهة، فلجأت إلى الله في
دفع ذلك عن قلبي، وأقبلت على قراءة القرآن، وكان درسي قد بلغ سورة يوسف
فافتحتها، وذلك الخاطر قد شغل قلبي حتى لا أدري ما أقرأ، فلما بلغت إلى قوله
تعالى: ﴿ قال معاذ الله إنه ربي أحسن مثواي ﴾ انتهت لها وكأني خوطبت بها.

فأفقت من تلك السكر، فقلت: يا نفس أفهمت ؟

دروس من سيرة الرسول عليه الصلاة والسلام:

من أراد أن يعلم حقيقة الرضى عن الله عز وجل في أفعاله، وأن يدري من أين ينشأ الرضى، فليفكر في أحوال رسول الله صلى الله عليه وسلم.

فإنه لما تكاملت معرفته بالخالق سبحانه، رأى أن الخالق مالك، وللمالك التصرف في مملوكه، ورآه حكيماً لا يصنع شيئاً عبثاً، فسلم تسليم مملوك لحكيم، فكانت العجائب تجري عليه، ولا يوجد منه تغير، ولا من الطبع تأفف.

ولا يقول بلسان الحال: لو كان كذا، بل يثبت للأقدار ثبوت الجبل لعواصف الرياح.

قال عمر رضى الله عنه يوم صلح الحديبية: ألسنا على الحق؟ فلم نعطى الدنية في ديننا؟ فقال له الرسول صلى الله عليه وسلم: (إني عبد الله، ولن يضيعني) فجمعت الكلمتين الأصلين اللذين ذكرناهما.

فقوله: إني عبد الله، إقرار بالملك وكأنه قال: أنا مملوك يفعل بي ما يشاء.

وقوله: لن يضيعني، بيان حكمته، وأنه لا يفعل شيئاً عبثاً.

ثم يبتلى بالجوع فيشد الحجر، ولله خزائن السموات والأرض.

وتقتل أصحابه، ويشج وجهه، وتكسر ربايعته، ويمثل بعمه وهو ساكت.

ثم يرزق ابنا ويسلب منه فيتعلل بالحسن والحسين فيخبر بما سيجري عليهما.

ويسكن إلى عائشة رضى الله عنها، فينغص عيشه بقذفها.

ويقوم ناموس الأمانة والصدق، فيقال: كذاب ساحر.

ثم يعلقه المرض كما يوعك رجلاً، وهو ساكن ساكت.

يشدد عليه الموت فيسلب روحه الشريفة وهو مضطجع في كساء ملبد وإزار غليظ

- (٢٧)

مما يخفف الحزن على من يموت من الأهل والولد:

ما زلت على عادة الخلق في الحزن على من يموت من الأهل والأولاد، ولا أتخايل إلا بلى الأبدان في القبور، فأحزن لذلك، فمرت بي أحاديث كانت تمر بي ولا أتفكر فيها.

منها: قول النبي صلى الله عليه وسلم: (إنما نفس المؤمن طائر تعلق في شجر الجنة، حتى يرده الله عز وجل إلى جسده يوم يبعثه)
فأريت إن الرحيل إلى الراحة، وأن هذا البدن ليس بشيء، لأنه مركب تفكك وفسد، وسيبى جديداً يوم البعث فلا ينبغي أن يفكر في بلاءه.
ولتسكن النفس إلى أن الأرواح انتقلت إلى راحة فلا يبقى كبير حزن، وأن اللقاء للأحباب عن قرب.

العزلة مع النظر في سير السلف حمية للقلب:

وقد جربت على نفسي مراراً أن أحصرها في بيت العزلة، فتجتمع هي ويضاف إلى ذلك النظر في سير السلف، فأرى العزلة حمية، والنظر في سير القوم دواء، واستعمال الدواء مع الحمية عن التخليط نافع.
فإذا فسحت لنفسي في مجالسة الناس ولقائهم تشتت القلب المجتمع.

الاعتبار بالنفس وضعف قواها:

من...أوغل في السن،..فإن شهوته ضعفت، وقواه قلّت، والحواس كلّت، والنشاط فتر، والشعر أبيض.
فليعتبر بما فقد.

- (٢٨)

عدم الإعجاب بالعمل:

إذا تم عمل الإنسان لم ير لنفسه عملاً، وإنما يرى إنعام الموفق لذلك العمل، ويجب على العاقل ألا يرى لنفسه عملاً أو يعجب به، وذلك بأشياء:

منها: أنه وفق لذلك العمل: ﴿حب إليكم الإيمان وزينه في قلوبكم﴾

ومنها: أنه إذا قيس بالنعم لم يف بمعشار عشرها.

ومنها: أنه إذا لوحظت عظمة المخدم احتقر كل عمل وتعب.

هذا إذا سلم من شائبة، وخلص من غفلة، فأما والغفلات تحيط به، فينبغي أن يغلب الحذر من رده، ويخاف العتاب على التقصير فيه، فيشتغل عن النظر إليه.

الإخلاص وإصلاح النيات:

الله الله في إصلاح النيات،... قال مالك بن دينار: قولوا لمن لم يكن صادقاً لا يتعنى. وليعلم المرائي أن الذي يقصده يفوته، وهو التفات القلوب إليه، فإنه متى لم يخلص حرم محبة القلوب، ولم يلتفت إليه أحد، والمخلص محبوب، فلم علم المرائي أن قلوب الذين يرأيهم بيد من يعصيه لما فعل.

نسأل الله عز وجل إخلاصاً يخلصنا، ونستعين به من رياء يبطل أعمالنا إنه قادر.

السعيد:

- السعيد من اقتنع بالبلغة، فإن الزمان أشرف أن يضيع في طلب الدنيا
- السعيد من ذلّ لله، وسأل العافية.
- السعيد من وفق لاغتنام العافية ثم يختار تحصيل الأفضل فالأفضل في زمن الاغتنام
- السعيد إذا حصلت له امرأة علم دينها ومال إليها.. عقد الخنصر على صحبتها.
- السعيد من اهتم لحفظ دينه، وأخذ من ذلك [لذات الدنيا] بمقدار الحاجة.

- (٢٩)

أمثلة للاعتبار:

إن الله عز وجل جعل لأحوال الآدمي أمثلة ليعتبر بها، فمن أمثلة أحواله: القمر، الذي يبتدئ صغيراً ثم يتكامل بداراً، ثم يتناقص بانمحاق، وقد يطرأ عليه ما يفسده كالكسوف، فكذلك الآدمي أوله نطفة، ثم يترقى من الفساد إلى الصلاح، فإذا تمَّ كان بمنزلة البدر الكامل، ثم تتناقص أحواله بالضعف، فربما هجم الموت قبل ذلك، كهجوم الكسوف على القمر.

جهاد النفس:

تأملت جهاد النفس فرأيت أنه أعظم الجهاد. فإن رآها تتكبر، قال لها: هل أنت إلا قطرة من ماء مهين، تقتلك شرقة، وتؤمك بقة وإن رأى تقصيرها عرفها حق الموالي على العبيد، وإن ونت عن العمل حدثها بجزيل الأجر، وإن مالت إلى الهوى خوفها عظيم الوزر، ثم يحذرنا عظيم العقوبة الحسية، كقوله تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ اللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَارَكُمْ﴾ والمعنوية كقوله تعالى: ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِي الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾ والجهاد لها كجهاد المريض العاقل يحملها على مكروهاها في تناول ما ترجو به العافية، ويدوب في المراحة قليلاً من الحلاوة.

تلمح أحوال الدنيا:

من تلمح أحوال الدنيا علم أن مراد الحق سبحانه اجتنبها، فمن مال إلى مباحها ليلتذ وجد مع فرحة تراحة، وإلى جانب كل راحة تعباً. وما رفع شيء من الدنيا إلا وضع... فيعلم العاقل أن مراد الحق بهذا التكدير التنفير من الدنيا، فيبقى أخذ البلغة منها ضرورة، وترك الشواغل، فيجتمع لهم في خدمة الحق ومن عدل عن ذلك ندم

-(٣٠)-

العاقل:

- * العاقل من يحفظ جانب الله عز وجل وإن غضب الخلق.
- * العاقل من حفظ دينه ومروءته بترك الحرام، وحفظ قوته في الحلال.
- * العاقل من تأمل العواقب، وتصور كل ما يجوز أن يقع فعمل بمقتضى الحزم
- * من علامات كمال العقل علو الهمة، والراضي بالدون ديني.
- * الواجب على العاقل أخذ العدة لرحيله، فإنه لا يعلم متى يفجؤه أمر ربه.
- * ينبغي للعاقل أن يترصد وقوع الجزاء.. وإن طالت المدة.. فميزان العدل لا يحابي.
- * الواجب على العاقل أن يحذر مغبة المعاصي، فإن نارها تحت الرماد.
- * لو ميز العاقل بين قضاء وطره لحظه وانقضاء باقي عمره في حسرة لما قرب منه.
- * العاقل... يستر ما في قلبه من البغض والود، ويداري من يكون له الغيظ والحقد.
- * العاقل من إذا فعل خطيئة بادرها بالتوبة، فكم مغرور بإمهال العصاة لم يمهل.
- * العاقل لا يدخل في شيء حتى يهسي الخروج منه.
- * ينبغي للعاقل أن يتنبه... في دفع كل ما يحذر من شر.
- * العاقل من كانت عينه مراقبة للعواقب، محترزة مما يجوز وقوعه، عاملة بالاحتياط.
- * المؤمن العاقل لا يلتفت إلى حاسده.. إذ ذلك يحسده على الدنيا وهذا همته الآخرة
- * لا ينبغي للعاقل أن يظهر سراً حتى يعلم أنه إذا ظهر لا يتأذى بظهوره.
- * العاقل يدبر بعقله عيشته في الدنيا... والتدبير حفظ المال، والتوسط في الإنفاق.

جمل مفيدة فيها فوائد عظيمة:

- الله جل جلاله، ما عرفه إلا من خاف منه، فأما المطمئن فليس من أهل المعرفة.
- من أصلح سريره فاح عبير فضله، وعبقت القلوب بنشر طيبه.

- (٣١)

- الله الله في السرائر، فإنه ما ينفع مع فسادها صلاح ظاهر.

- لا تقلد دينك من قلّ علمه وإن قوي زهده.
 - العزلة عن الشر حمية، والحمية سبب العافية.
 - رأيت سبب الهموم والغموم الإعراض عن الله عز وجل والإقبال على الدنيا.
 - من دعا فلم ير أثر الإجابة لم يختلج قلبه اعتراض لأنه مملوك مدبر.
 - ما أقلّ من يعمل لله تعالى خالصاً لأن أكثر الناس يحبون ظهور عباداتهم.
 - متى جرى أمر لا تعرف علته فانسب ذلك إلى قصور علمك.
 - قلّ أن يجرى لأحد آفة إلا وهو يستحقها غير أنها.. غائبة عنا ورأينا الجزاء وحده.
 - ما تتمكن الرياضات حتى تتمكن من القلب الغفلة، ورؤية الخلق، ونسيان الحق.
 - عليكم بملاحظة سيرة السلف ومطالعة تصانيفهم.... فمطالعة كتبهم رؤية لهم
 - ما يتناهي في طلب العلم إلا عاشق العلم، والعاشق ينبغي أن يصبر على المكاره.
 - أحسن إلى من أساء إليك، واستعن على أمورك بالكتمان.
 - قال المأمون لبعض أصحابه: لا تعصي الله بطاعتي فيسلطني عليك.
 - أحق الأشياء بالضبط والقهر: اللسان والعين.
 - عاقبة الصبر الجميل جميلة.
 - من صفا نظره وتهدب لفظه، نفع وعظه، ومن كدر كُدر عليه.
 - متى استقام باطنك استقامت لك الأمور.
 - ليس في سياط التأديب أجود من سوط عزم.
 - أنفع ما للعامي مجلس الوعظ، يرده عن ذنب، ويحركه إلى توبة.
 - رب كلمة جرى بها اللسان هلك بها الإنسان.
- (٣٢)
- لا ينال لذة المعاصي إلا سكران بالغفلة.

- العقل ينمو بالتعلم والتحصيل والدربة والمران.
- أعظم دليل على فضيلة الشيء النظر إلى ثمرته.
- اللذات كلها بين حسي وعقلي، وغاية اللذات العقلية: العلم.
- أجهل الجاهل من أثر عاجلاً على آجل لا يأمن سوء مغبته.
- من أراد دوام العافية والسلامة فليثق بالله عز وجل.
- من أعظم الخن الاغترار بالسلامة بعد الذنب، فإن العقوبة تتأخر.
- للباطل جولة، وللحق صولة، والدجالون كثير.
- غموم القلب لا تواربها لذة مال ولذة مطعم، هذا في الدنيا قبل الآخرة.
- مخالطة السلاطين بعيد أن يسلم معه الدين فإن وقعت سلامته ظاهراً فالعاقبة خطيرة.
- للذنوب تأثيرات قبيحة، ماراتها تزيد على حلاوتها أضعاف مضاعفة.
- من أصلح سريرته فاح عبير فضله، وعبقت القلوب بنشر طيبة.
- متى كان الصبي ذا أنفة - حياً - رجي خيره.
- ستر المصائب من جملة كتمان السر، لأن إظهارها يسر الشامت ويؤلم المحب.
- نيل الشرف بالكرم والجود يفتقر إلى جهاد النفس في بذل المحبوب.
- يا فرحة المغموم ويا سرور الحزون متى تخايل دوام اللذة في الجنة من غير منغص.
- ما يكاد يحب الاجتماع بالناس إلا فارغ لأن المشغول القلب بالحق يفر من الخلق.
- تأملت نيل الدر من البحر فرأيت بعد معاناة شديدة.
- الكمال عزيز، والكمال قليل الوجود.
- الاستخارة من حسن المشاورة.

- (٣٣)

- من رزق قلباً طيباً ولذة ومناجاة فليراع حاله.. وإنما تدوم له حاله بدوام التقوى

- ليس في الدنيا أطيب عيشاً من منفرد عن العالم بالعلم، فهو أنيسه وجليسه.
- كم من غضب فقتل وضرب ثم ما سكن غضبه بقي طول دهره في الحزن والندم
** بعض هذه الجمل سبق ذكرها في بعض فصول الكتاب، ولأهميتها تم إفرادها
بالذكر.

الموضوع	الصفحة
المقدمة	٣
فصل: الغفلة	٤
فصل: العقوبات	٧
فصل: الذنوب والمعاصي	١٠
فصل: العلم	١٢
فصل: الدعاء	١٥
فصل: التقوى	١٧
فصل: من صور الجزاء في الدنيا	١٩
فصل: البلاء	٢٠
فصل: التعامل مع الناس	٢١
فصل: متفرقات	٢٣
استغلال الوقت بما ينفع حاضراً وآجلاً	٢٣
النظر في العواقب	٢٤
بقدر إجلالكم لله عز وجل يجلكم	٢٤
النظر في سير السلف الصالح تجلب رقة القلب	٢٥
التصنيف المفيد	٢٥
إذا رأى العبد في الآخرة جزاء دعائه تمنى أن الله لم يجب له دعوة	٢٥

- (٣٥)

العزلة التي يُنتفعُ بها	٢٦
-------------------------	----

٢٦	أجأ إلى الله
٢٧	دروس من سيرة الرسول عليه الصلاة والسلام
٢٨	مما يخفف الحزن على من يموت من الأهل والولد
٢٨	العزلة مع النظر في سير السلف حمية للقلب
٢٨	الاعتبار بالنفس وضعف قواها
٢٩	عدم الإعجاب بالعمل
٢٩	الإخلاص وإصلاح النيات
٢٩	السعيد
٣٠	أمثلة للاعتبار
٣٠	جهاد النفس
٣٠	تلمح أحوال الدنيا
٣١	العاقل
٣١	جمل مفيدة فيها فوائد عظيمة
٣٥	الفهرس